

صرحنا بهذا وإن كان فيه غضاظة كبرى على العرب الذين لم يستفيدوا من حرية
الدمور حتى الآن وينشئوا على الأقل كتاب منظمة لتلقين لغتهم من أسير الطرق حتى
ينفعوا بعد الآن بأولادهم حتى النفع ولا يفقدوا عدداً كبيراً ممن يدخلون مدارس
الأجانب فتحل وطنيتهم تضعف لغتهم. أما مؤسسو تلك المدارس أجنبية كانت أو أميرية
فإنهم يعذرون لنسب الذي أوردناه آنفاً وهو أن القوي يريد أن يستغرق الضعيف سنة
من سنن الكون. ولم يبلغ البشر درجة راقية من الصدن حتى تتساوى في عيولهم اللغات
والعناصر كلها وتجرد أمة فتضى لإحياء غيرها وتقلل من جنبها لتزيد سواد الآخر ولا
تهدم دارها وتريد هدمها لتعمر بأنقاضها دار جاراها والسلام.

جبل الدروز وفتحهم

إلى الجنوب من دمشق على نحو عشرين ميلاً منها كورة واسعة محصنة اسمها حوران فيها
نحو ستانة قرية وفي شرقي تلك الكورة إقليم ممرع فيه السهل والجبل إلا أنه أطلق عليه
اسم جبل حوران كما يقال له جبل الدروز الآن لأن معظم سكانه منهم وهو يمتد من شمالي
حوران إلى جنوبيه ويحده من الشمال النجاة وهي أرض بركانية ذات حرار وعرة للغاية
ومن الشرق البادية ومن الجنوب قفر مترامي الأطراف يتصل بوادي الحجاز ومن الغرب
الجنوبي النقرة والنقرة سهل جيد التربة في وسط حوران.

وطول هذا الجبل نحو ١٥ ساعة على راكب المطايا و ٨ ساعات وهو من الجهة الجنوبية
والجهة الغربية أي نحو ثلاثة أرباعه سهل خصيب تضاهي تربته تربة السهل من بلاد
حوران وغوطة دمشق والبقاع العزيز وربما كانت أسكن منها وفيه ١٠٨ قرى يقدر
نفوسها على التخمين بخمسين ألف نسمة وربما استطاع حمل السلاح منهم نحو ثمانية آلاف

ومنهم الذين يشنون الغارات ويقتلون الأبرياء ويسلبون المارة وإقنيهم هو الإقليم الوحيد في سورية بأسرها الذي أزمّت فيه الفوضى وأحب أهله على قريهم من الحواضر ووفرة غناهم بزراعتهم أن يعيشوا عيش السلب والنهب والقتل يؤذون من خالفهم من مجاورهم ويطنون أيدي اعتدائهم على أبناء السبيل ويناثون الحكومة ويعصون قوانينها فلا يؤدون الضرائب الأموية والخراج ولا يخدمون الجندية وإذا لم يجدوا من يقتلونه ويمثلون به يقتلون بينهم كأنهم يتعدون بإهلاك العباد والعيث بالفساد في البلاد.

وآخر عمل فطّيح قاموا به أنهم غزوا جيراهم من أهل قريي معربة وغصم وسكانها مسلمون مسيحيون فقتلوا ٥٩ رجلاً وجرحوا ثلاثة بين القتلى أربع نساء بينهن والدة الشيخ معربة وزوجته وأخذوا القسم الأعظم من السهوة وجيزة وسماقية وطيسة من بلا السهل فطّيح كأس الصبر منهم ولم تر الدولة بدءاً من إرسال حملة عنهم تؤدب عصاقهم وتضرب على أيدي الفوضويين والعديمين ثم وتؤلف شاردهم وتؤمن خائفهم وتخضعهم لنقوانين كسائر الأفراد العشائين.

ولعل كثيرين يتساءلون عن تاريخ عمران هذا الجبل ونزول الدروز فيه فالمعروف من حاله أنه كان في الدولة القديمة تابعاً لحوران تشهد بذلك الآثار القليلة الباقية إلى اليوم في بعض أمهات قراه مثل السويداء قاعدته القديمة وصرخد وقنوات فإن الكتابات اليونانية واللاتينية والنبطية والعربية المكتوبة بخط سباء تدل على أنه كان عامراً للغاية.

وفي السويداء بل في أكثر قرى الجبل على ما انتابها من الحرب والتدمير بعض الآثار اليونانية والرومانية مثل القناة والمعبد والمسلة يظن أنها من القرن الرابع والخامس للميلاد والجامع الخرب المزبور عليه بعض كتابات يونانية والخزان الكبير لجمع الماء الذي أنشئ

على أكمة تشرف على السويداء وعلى طريق قرية القنوات جسر مهم للغاية جعل على
عمد هائلة يظن أنه من القرن الأول وأنه كان ناووساً.

والظاهر من عاديات قنوات أنها كانت أهم من بصرى قاعدة بلاد حوران كلها وكان
فيها أبرشية لزروم ولا تزال بعض الطرق هناك مبلطة ببلاط كبير من عوادي الأيام
ومعظم الدور محفوظة كما كانت بنوافذها وأبوابها الحجرية.

ومن الآثار التي تجلب الأنظار ذلك المسرح التياترو الجميل الذي قام على يمين الوادي
وأكثر منحوت في الصخر وقطره نحو ١٩ متراً وفيه تسعة صفوف أسفل على متر
ونصف تحت المنعبد وفي وسطه حوض ماء وهو مطل على الوادي ومصانع المدينة وجبل
حرمون (الشيخ) وفي مكان شاهق آثار معبد ذي أدراج في الصخر تؤدي إلى برج أصم
ربما كان جزءاً من حصن مشرف على المضيق ويستدل من البنية السفلى أن تاريخها يردُّ
إلى ما قبل عهد الرومان وعلى ميلة قليلة نحو الشرق برج عظيم مدور دائرته ٢٥ متراً
وربما كان برجاً لدفن الموتى وهناك بعض خرائب كنائس وجادات وأروقة وأرتجة وبعض
قطع من هياكل وقنايل وملاعب.

وعلى ثلاثة أرباع الساعة من قنوات في الجنوب الشرقي قرية سالة وفيها معبد من أهم
معابد حوران تشبه هندسته معبد هيرود في القدس وفيه من رسوم الأسود والغزلان
والخيول المسرجة وغيرها ما يأخذ بمجامع القلوب. وهناك أيضاً مذبح في سفح درجات
المعبد وكان هذا المعبد خاصاً بعبادة إله السماء ومن الآثار المهمة آثار شهبا وطرقها
معبدة واسعة تكاد تكون أوسع طرق حوران وقد يبلغ عرض الشارع فيها سبعة أمتار
وستين سنتيمراً.

وليس في الأيدي ما يستدل منه على منزلة تلك البلاد من العمران على عهد العرب وكانت قبيل الإسلام منازل قبائل بني غسان كما كانت البلاد المجاورة لها فقد بنى النعمان ابن المنذر الغساني من ملوك القرن الرابع لنيلاذ قصرًا في السويداء بقي منه في بعض جهاته ووجدت في صرخد صخرة اللات التي عبدها الأنباط والعرب كما ذكر هيرودوتس وعليها كتابة تدل على أنها نصبت لذي الشرى وهو معبود نبطي له آثار في بصرى وبتره (وادي موسى).

والغالب أن صرخد حازت في الإسلام مكانة أعظم من مكانة السويداء فبالغ المنوك بتحسين قنعتها ليدافعوا عوادي البدو عن القرى العامرة وقد كثر ذكرها في كتب التاريخ على عهد الدولة الصالحية ومن بعدها من دول الجراكسة خصوصاً بعد أن استولى على الكرك والشوبك وغيرها من الحصون المجاورة الملك الناصر السلطان صرح الدين بن أيوب وولى أخاه الملك العادل أبا بكر بن أيوب عليها فأصبح لتينك المدينتين شأن عظيم حتى عدت الكرك من الممالك مثل مملكة بعلبك ومملكة حماة ومملكة شيزر وغيرها ومعظم هذه الممالك أصبحت فيما بعد قرى حقيرة في القرون الأخيرة لغلبة الجهل على الحكومات التي تعاورتها ولقلة الأمن وانتياح الغارات والزلازل والأوبئة التي اجتاحت سكانها.

ويؤخذ مما رواه أبو الفداء صاحب حماة أن بلاد صرخد وما والاها وبعبارة أخرى جبل الدروز كانت تدعى في عهده أي في القرن الثامن بمجل بني هلال قال:

صرخد بلدة ذات قلعة مرتفعة وليس لها سوى ماء المطر في الصهارير والبرك وهي قاعدة جبل بني هلال وليس وراء عنها من جهة الجنوب والشرق إلا البرية ومن شرقها تسلك طريق يعرف بالرصيف إلى العراق وهذا الرصيف بين صرخد وبغداد عشرة أيام. وقلعة صرخد شاهد أبد الدهر بعظمة تلك البلاد وهي كما قال الثقات أضخم وأهم من قلعة حلب اهـ.

وقد جدد الملك الظاهر بيبرس فيها جدد من المصانع في بلاده ما قدم من قلعة صرخد وجامعها ومساجدها وكذلك فعل ببصري وعجلون والصلت وكانت قلعتا كوكب وعجلون لأمير الدين بن أسامة وكان هذا ملك صرخد سنة ثمان وستمائة للهجرة وقال ابن خلكان: إنه ملك صرخد سنة إحدى عشرة وستمائة وقال لأن أستاذ الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب حج في السنة المذكورة وأخذ صرخد من صاحبها ابن قردجة وأعطاه ممنوكة أيك والظاهر أن الأول أصح واستمرت في يد أيك إلى سنة أربع

وأربعين وستمائة فأخذها الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل من أيك المذكور. ومن تمك صرخد أقوش الأفرم أحد أمراء بني أيوب.

ومكن الأدلة على استحار العمران في الجبل أنه نشأ بعض أمهات مدنه أعلام ومشاهير ومنهم عز الدين السويدي من أهل القرن السابع كان عالماً عاملاً ويونس بن إبراهيم ابن سيان الصرخدي النحوي النفري ٦٩٨ وإبراهيم بن سليمان التميمي الصرخدي الفقيه خطيب صرخد مات فيها سنة ٦١٨ وبدر الدين السلخني قاضي غزة نس نسبة إلى صرخد أيضاً وبعضهم يقول صلخد وشلخة والأصح صرخد فيما نرى والروايات

الثانية تحريف طراً مثله على بندان كثيرة في سوربة مثل عربيل فيقولون عربين وجماعين لاستعمالهم النطق بالنون أكثر من اللام.

قال ابن أبي أصيبعة: حدثني نجم الدين حمزة بن عبد الصرخدي أن نجم الدين القمرائي وشرف الدين المتاني وقصيرا ومثان هما قريتان من قرى صرخد قال كانا اشتغلا بالعلوم الشرعية والحكمة وتميزا واشتهر فضلهما وكانا قد سافرا البلاد في طلب العلم ولما جآ إلى الموصل قصدا الشيخ كمال الدين بن يوسف (الفيلسوف العلامة) وهو في المدرسة ينقي الدرس فلسفيا وقعدا مع الفقهاء ولما جرت مسائل فقهية تكلمنا في ذلك وبحثا في الأصول وبأن فضلهما على أكثر الجماعة فأكرمهما الشيخ وأدناهما ولما كان آخر النهار سألاه أن يريهما كتاباً له كان قد ألفه في الحكمة وفيه لغز فامتنع وقال: هذا كتاب لم أجد أحداً يقدر على حله وأنا ضنين به فقالا له: نحن قوم غرباء وقد قصدناك ليحصل لنا الفوز بنظرك والوقوف على هذا الكتاب ونحن باتون عندك في المدرسة وما نريد نظائله هذه الليلة بالغداة يأخذه مولانا وتنطقاً له حتى أنعم لهما وأخرج الكتاب فقدا في بيت من بيوت المدرسة ولم ينأما أصلاً في تلك الليلة بل كان كل واحد منهما يمني على الآخر وهو يكتب حتى فرغا من كتابته وقابلاه ثم كررا النظر فيه مرات ولم يتبين لهما حنة إلى آخر وقت وقد طنح النهار فظهر لهما شيء منه من آخره واتضح أولاً فأولاً حتى انحل لهما اللغز وعرفاه فحملوا الكتاب إلى الشيخ وهو في الدرس فجلسات وقالوا: يا مولانا ما طلبنا إلا كتابك الكبير الذي فيه اللغز الذي يعسر حله وأما هذا الكتاب فنحن نعرف معانيه من زمان واللغز الذي فيه عنده عندنا قديم وإن شئت أوردناه فقال قولاً حتى أسمع فتقدم النجم

القصراوي وتبعه الآخر وأود جميع معانيه من أول الكتاب إلى آخره وذكرنا حل النفر
بعبارة حسنة فصيحة فعجب منهما وقال: من أين تكونان قالا: من الشام قال: من أي
موضع منه قالا: من حوران وقال: لا أشك أن أحدكما النجم القصراوي والآخر الشرف
المتاني قالا: نعم فقام لهما الشيخ وأضافهما عنده وأكرمهما غاية الإكرام واشتغلا عليه
مدة ثم سافرا.

وهذه الرواية تدل كل الدلالة على انتشار العلم في هذه المزارع في القرون الوسطى
وأمتان بلد شرف الدين المتاني قرية موجودة إلى ال يوم أما قنرا فهي قنيرة خربة واقعة
إلى الجنوب من صرخد على مسافة ساعتين ومنها الفقيه موسى القصراوي أديب مناظر
حاذق توفي سنة ٦٢٥ ومن شعره:

لما تبدى بالسواد حمته ... بدراً بدا في ليلة ظنماء

لولا خلافته على أهل الهوى ... لم يشتهر بملابس الخنفاء

ومن قرى صرخد العرمان بتشديد الراء وفتحها والعامّة اليوم تخففها قال ياقوت: أنشدني
أبو الفضل محمد بن مياس العرّامي من ناحية صرخد من عمل حوران من أعمال دمشق
لنفسه.

يعادي فلان الدين (؟) قوم لو أنهم ... لأخصه ترب لكان لهم فخر

ولكنهم لم يذكروا فعندوا ... عدواته حتى يكون لهم ذكر

وأنشدني أيضاً لنفسه:

ولما اكتسى بالشعر توريد خده ... وما حاله إلا نزول إلى حال

وقفت عليه ثم قلت مسلماً ... ألا نعم صباحاً أيها الطفل البالي

وأنشدني أيضاً لنفسه بمدح صديقه موسى القسرواي وقبرى قرية من قرى حوران أيضاً
قرية من قرية العرمان:

أصبحت علامة الدنيا بأجمعها ... تشدُّ نحوك من أقطارها النجب

بأن على كبد الجوزاء منزلة ... تحفها من جلال حولها الشهب

ما نال من نالت من فضل ومن شرف ... سراة قوم إن جدوا وإن طنبوا

وفي الجبل إلى اليوم قريتان باسم نجران قال ياقوت أن نجران موضع بحوران من نواحي دمشق وهي بيعة عظيمة عامرة حسنة مبنية على العمد الرخام منقطة بالفسيفساء وهو موضع مبارك ينذر له المسلمون والنصارى ولندور هذا الموضع قوم يزورون في البلدان ينادون من نذر نذر نجران المبارك وهم ركاب الخيل وللسلطان عندهم قطعة وافرّة يؤدونها إليه في كل عام. وقال مثل ذلك في دير نجران أيضاً وما ندري إن كانت نجران هذه هي نجران جبل حوران أم هي واقعة في السهل من قرى بصر الحرير.

وتبين مما تقدم أن العبران قديم في هذا الجبل وليس في الأيدي نصوص يركن إليها النهم إلا إذا كان شيء في بطون التاريخ والجغرافيا جاء بالعرض ولم تمتد إلى معرفته وقد كان سكانه على ما مر بك آنفاً مسلمين ومسيحيين ولم يتزل الدروز إلا في القرون المتأخرة ويقول أحدهم أنهم رحلوا إلى جبل حوران منذ نحو مائتين وعشرين سنة أيام ابتداء قوم من دروز لبنان بهاجرون وأولهم أسرة بني حمدان التي بطش بها التوحيون أمراء لبنان ومنذ ذلك الحين أصبح كل من يغلب في الحروب القيسية والينية في لبنان ومن عضه الدهر بنابه أو غضب عليه الحاكم يرحل إلى ذلك الجبل ثم انضم إليهم أناس من دروز وادي التيم وصفد وجبل الأعنى والقيطرة وجوار دمشق.

نزل الدروز هنا وهم مستضعفون وفقراء وما زالوا يطردون المخالفين من سكان البلاد الأصليين بالقوة ويستصفون أملاكهم ومنها ما هو إلى اليوم من أرباب البيوتات في دمشق وبأيديهم صكوك بمنكتهم لما حتى كاد الجبل إلا قليلاً جداً يكون لطائفة الدروز وزعمائهم بنو الأطرش وبنو الحنبي والمغوش وعامر وناصر والعزام توزعوا على القرى ومن أكبر زعمائهم بنو الأطرش وبينهم وبين بني مقداد المسنين سكان بصرى وما جاورها طوائف قديمة يتربص كل منها لجاره الدوائر منذ نحو قرن ويعتقد الطرشان أن بني مقداد هم الحائل دون تعليمهم حدود جنهم ولولاهم لا امتد سلطانهم على سهول حوران فاستأثروا بها كما استأثروا بهذا الجبل.

وأول الوقائع التي قام بها الدروز في الجبل وتمت لهم الغلبة وقعت بينهم وبين إبراهيم باشا المصري سنة ١٨٣٠ في جنوبي النجاة كبت فيها الهزيمة للمصريين وقتل منهم الفريق محمد باشا وغيرهم من قوادهم وفي سنة ١٨٣٨ أنفذ إبراهيم باشا أحد رجاله شريف باشا في أربعائة فارس إلى قرية أم الزيتون في محل يعرف بوادي اللواء على نحو خمس ساعات عن السويداء لتجنيد الدروز فقتلهم الشيخ حمدان الدرزي عن آخرهم ولم يبق إلا على مقدمهم. وكذلك جرى لـ محمد باشا القيرصي فتم يظفر بهم.

ومنذ ذلك العهد اعتصموا بجبالهم ونشأ لهم شيء من الاستقلال عن الحكومة وأيقنوا بأنها تخاف بأسهم وتحب لهم ألف حساب وزاد سوادهم وقوتهم في حوادث الستين وقد هاجر إليهم من لبنان كثير من أبناء مذهبهم فاعتزوا بهم خصوصاً بعد أن ثبت أن الذين أوقدوا نار فتنة النصارى منذ خمسين سنة وانتهت بقتل وصلب مئات من أهل دمشق

المسلمين ولم يكدر للدروز خاطر ولم يسلأ لوا عما ارتكبه في تلك الفتة الأهلية من
الفظائع.

وما برحوا يفحشون القتل والسلب والتخريب منذ حادثة الستين لأن الحكومة
استعملتهم إذ ذاك واستعملوا لها بواسطة بعض الدول آلة لقصد تريده على ما يؤكد
العارفون. ولقد قتلوا من جند الدولة والأهالي المساكين ما لو أحصى لبنغ مقداره نصف
سكان الجبل اليوم. ووقائعهم في قرية أم ولد وقرية الكرك وقرية كحيل والحراك وبصر
الحرير وبصرى إسكى شام وجوارها وقرية المليحات ومع عرب المعجل وعرب السرحان
وعرب الخريشة وعرب ولد عني وغيرهم مشهورة إلى الآن على الألسن دغ عنك نحو
عشرين قرية اغتصبها الدروز من الحوارنة في قضاء عاهرة وقضاء السويداء وقضاء
صرخد وهي أقضية الجبل اليوم التابعة لمركز اللواء الذي كان أول أمس شيخ سعد
فأصبح أمس شيخ مسكين واليوم غدا درعا.

تعم لم يكن سكان جبل الدروز كما قال عارف بأحوالهم منذ أربعين سنة إلا أقل القليل
من سكانه فالجهة الجنوبية أي قرى صرخد وجوارها كانت بأيدي المسلمين والمسيحيين
من أهالي حوران والقرى الغربية كانت بيد جملة الزعينة من حوران إلى أن اعتاد أشقياء
دروز لبنان وحاصبيا وراشيا أي وادي التيم وعكا وصفد والقرى المجاورة لدمشق
والقنيطرة ومن اعتادوا القتل والنهب وقطع الطريق وتعذرات عنهم الإقامة في بلادهم
أن يعتصموا في هذا الجبل فضاقت عنهم قراهم الأصنية فجمعوا الحوارنة عن بلادهم
وأصبح جنهم منجأ الأشقياء.

أما وقتعهم المشورة فكان أولها سنة ١٢٩٥ شرقية بينهم وبين أهالي بصر الحرير فسأقت الدولة إليهم قوة إلى موقع القراصنة ولما لم تحسن الإدارة زاد الدروز جرأة إلى أن كان سنة ١٢٩٧ شرقية وقد هجموا على قريتي الكرك وأم ولد وذبحوا سكانها عن بكرة أبيها حتى الأطفال الرضع فكانوا يفسخونهم قطعين ثم سقت عندهم قوة بقيادة المشير حسن فوزي باشا أسفرت عن ربط دية شرعية مسقطه على الدروز وتأسيس قائم مقامية جبل الدروز وجعلها ثمان نواح وتعين قائم مقام ومديرين للنواحي منهم.

وما برحوا يشغنون الحكومة فترسل عندهم الحملات كل مدة ويراوغون ثم يستعطفون رجالها بالكذب والرشى تارة وتارة يتحد أشقياء الملقون القبلي مع عرب السردية فيغزون قرى بني صخر والحويطات والسرحان وقرى حوران الجنوبية وينضم أشقياء الملقون الشرقي إلى عرب الصفا يغزون تجار بغداد والزور وأشقياء الملقون الشمالي يتحدون مع عرب الحسن ويغزون قرى جبل قنبون والنبك وحصص ويتحد بعضهم مع عرب النجاة يسبون قرى جبل حوران وتارة يقتلون الموظفين ويمشون بالمكر ولا يدفعون الأموال وينهبون التجار حتى أرسلت عندهم الحكومة حملة مهتمة سنة ١٣١١ رومية فضربتهم ضربة لو وضعت بعدها الإصلاحات الإدارية المعتبرة ولم تعف بعد قليل عن زعمائهم لاستقام الأمر ولم يعودوا إلى سالف أحوالهم حتى صيف هذه السنة.

أحلّ أشقياء الدروز في حوران قتل من خالفهم والاعتداء على مجاورهم وعلى القوافل الآتية من العراق ونجد حتى كادت التجارة تنقطع بين أقطار العراق ونجد والشام بسبب غاراتهم على الأقاليم المجاورة وخربوا جانباً عظيماً من القرى والمزارع وأخذوا المواشي وسفكوا الدماء حتى الجأ إليهم كل من عصا الدولة والمكر الفار من الجندية والأشقياء

وخربت بأعمالهم كثير من القرى والمزارع وأصبحوا بفعلاقم يحولون دون امتداد العمران في أطراف هذه الولاية ولولاها لاستفاض عمرانها ولاسيما من جهة الشرق والجنوب عمراناً تزيد مساحته على ولاية عظمى من الأرض المبتة ولكفت ملايين من المهاجرين وأهل البادية.

أما القوائد التي ستجتم من إدخالهم حظيرة الطاعة فامتداد العمران الى الجنوب مراحل كثيرة حتى يبلغ من الأزرق إلى بلاد الكرك بل قرى المنح إلى الجوف فينتفع بما فيها من المياه المعطنة ويعتمد من جهة الشرق إلى تدمر مسافة عشرة أيام. وتدمر هيئ المدينة المعروفة بتاريخها الجيد. ويتصل بجهة الشمال ببلاد حماة وحلب. ولعل هذا المبحث لا يصدر إلا وقد أخذ أولئك العصاة إلى السكون بمئة قائد الحملة العام سامي باشا الفاروقي فيضع لهم أساساً راسخاً في الإصلاح لا يتمكن أحدهم من نقص عروته ويعاملون في عهد المستور بما لم تكن الدولة تعاملهم به في عهد الاستبداد ويشترط هذا الجرح النغار بل الآكلة الزمنة في جسم سورية بمشراط الجراح الماهر الذي أحنت الحكومة ظنّها به في هذه المهنة فيصبح جنهم منتاب المصطافين كما أصبح جبل لبنان من قبل فجبل حوران ليس دون جبل الشيخ وجبل قننون جبل النكام وغيره من الجبال السورية بموائه ومائه ويزيد عليه خصب تربته وبعده عن الرطوبة هذا ويقل الماء الجاري في جبل حوران وأكثره ينابيع قليلة تكاد تك في لشرب الشفة فقط أما الزروع فلا تنمو بالسقيا بل تنمو بماء السماء كسائر بلاد حوران وحدث ما شئت أن تحدث عن خصب التربة فإن الحبوب تجود فيه كل الجودة وتقل الأشجار فيهم النهم إلا الكرم والتين وبعض السنديان والزان وأكثر الغابات لم يبق منها إلا جذوع أشجارها تجدها بالقرب من

السويداء وسهوة الخضر وسهوة بلاطة ومياماس وابي زريق وساله وقنات وعتل في ذروة الجبل أي في طرف قليب حوران ولم يبق إلا شجرات معدودات بين قنات والجبل والله أعلم.

أصل الدروز

ينسب الدروز إلى رجل يقال له محمد بن إسماعيل الدرزي كان أحد أصحاب دعوة الحكام بأمر الله العبيدي ويسى في كتب هذه الطائفة نشكين الدرزي والدرزي بالفتح معناه الخياط فارسي معرب والعامية تضم الدال ويقولون في الجمع الدروز والصواب الدرزة محركة. أما الحاكم هذا فإنه سادس خليفة من خلفاء الدولة العبيدية ويقال لهم الفاطميون ولقبه الحاكم بأمر الله وكنيته أبو علي واسمه المنصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد بن المنصور إسماعيل بن القائم بأمر الله محمد بن عبيد الله المهدي.

واختلف المؤرخون في صحة نسبهم فبعضهم صححه وجعله متصلاً بفاطمة الزهراء عليها السلام ونسب عبيد الله المهدي إلى محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم ابن إسماعيل بن جعفر الصادق. وطعن أكثر العلماء والمؤرخين في هذه النسبة وجعلوا نسبهم متصلاً بالحسين بن محمد بن أحمد القداح وكان مجوسياً وقيل يهودياً فقالوا أن أهم فاطمة بن عبيد اليهودي واسم المهدي هذا سعيد ولقبه عبيد الله وزوج أمه الحسين ابن محمد بن أحمد بن عبيد الله القداح بن ميمون بن ديسان وقيل هو سعيد بن أحمد بن عبد الله القداح بن ميمون وميمون هذا هو صاحب كتاب الميزان في نصره الزندقة كان يظهر التشيع لآل البيت ونشأ لميمون عبد الله وكان يعالج العيون التي نزل إليها الماء بالقدح (هو إخراج الماء الفاسد منها) وتعلم عبد الله من أبيه ميمون الحيل وأطلعته أبوه على